يحايل شيطان الأساليب لم يدع مجالا لشيطان بهن مريد

* * *

على النيل يابن النيل أطلق شراعنا وقل لياليه الهنية عودى
وأرسل على الوادى حمائم أيكه برنة ولهى أوشكاة عميد
وقل ياعروس النبع هاتى من الجنى ودورى علينا بالرحيق وجودى
وهبي عذارى النخل فرعاء وارقصى بخضر أكاليل وخمر عقود
ألا يا أخى واملأ كؤوس محبة مقدسة موعودة بخلود
أذا هى هانت فانع للشمس نورها وللقمر السارى بروج سعود
وقل ياسماء النيل ويحك أقلعى ويا أرض بالشم الرواسخ ميدى
وغيضى عيون الماء أو فتفجرى لظى، وإن اسطمت المزيد فزيدى !

يارحمة الله للشاعر الخالد، إنه فى معركة الحرية لا يزال يسمعنا صوته وهو فى عالم الفناء . . واليوم حين تبلغ المعركة أوجها يتخلف عن الإنشاد شعراؤنا الأحياء ! !

أنور العطاوى

٣ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بين الماضى والحاضر :

فى زحام هذه العواطف الوطنية المتأججة فى وادى النيل من منبعه إلى مصبه . . أكتب إليك أيها الأخ الكريم وأحاول أن أربط بين ماض مجيد وحاضر ليس أقل منه مجدا . ومما هو جدير بالتسجيل ذلك الوعى الكامل الذى يبديه شعب وادى النيل لقضيته وإيمانه بها وضبطه لأعصابه رغم ما تتفجر به نفس كل فرد من أفراده من العواطف الملتهبة . . وذلك إرضاء لحكومته وطوعا لمشيئتها

وأحب أن أسجل أيضا أن القوات البريطانية ما زالت مستمرة فى عدوانها الوحشى على سكان منطقة القنال المزل ، فى كل يوم قتيل وشهيد وسلب ونهب واعتداء على الحريات واحتلال للأماكن والبلاد وتحكيم للقوة وعسف وظلم وجور ؛ فليستمر البريطانيون فى عدوانهم فإن ذلك كسب لمصر، وليعلموا أن كل دم يراق إنما يغذى شجرة الحرية فى وادى النيل، وليعلموا تماما أن مقامهم فى وادى النيل قد أصبح ضربا من المحال

وقد انضمت فرنسا الفاجرة وأمريكا الآثمة إلى بريطانيا فأيدتا سياستها ووافقتا عليها فانتصرتا للاثم والعدوان ، وهكذا أثبتت الدولتان ما لم يكن خافيا علينا نحن الشرقيين من أن هذه الدول لا تريد بنا خيرا ، وإنما تريد علينا سيطرة واستعمارا . إن هذه الأمم تدعى أنها نصيرة الحرية ، ومع هذا تطعن الحرية فى مصر والشرق كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً . فليعلم هؤلاء الطغاة أن نهايتهم أقرب مما يتصورون

وقد وقفت الأقطار العربية الشقيقة بجانب شقيقتهم الكبرى مصر مما هز أركان الاستعمار الإنجليزى وزلزل دعائم الاقتصاد الأمريكى

وفى يوم الثلاثاء ٢٣ من اكتوبر ١٩٥١ وقفت مصر تحيى ذكرى شهدائها الذين أراق الطغاة دماءهم فى يوم الثلاثاء ١٦ منه فقامت المظاهرات الوطنية فى القاهرة والإسكندرية وشتى المدن والبلاد ، وأضرب الطلاب عن تلقى دروسهم وأغلق التجار متاجرهم وامتنع المحامون عن مزاولة أعمالهم فى جميع المحاكم ، ولم يخل شبر فى أرض الوطن العزيز من صوت يتقطع فى صدر صاحبه . . هو صوت الحزن على ما أريق من دماء الشهداء . وقد تجلى فى هذه المظاهرات جلال الوطنية وجلال الذكرى وإجماع الأمة وتأييدها لحكومتها

وفى السودان قامت المظاهرات تطالب بالحرية وتطرد المحتل الأجنبى والمستعمر الظالم حتى اضطر الحاكم العام الإنجليزى أن يطلب من قائد عام القوات المصرية التدخل لحفظ الأمن وإقرار النظام

الأمر كما ليس ضده :

لقد حاولت مصر أن تقيم علاقتها مع الدول الغربية على

أساس الحرية والاحترام المتبادل، ولكن هذه الدول أمعنت فى غيها ، فلما طالت المفاوضات اضطرت مصر إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ التى تربطها ببريطانيا وبدأت معركة التحرير

وقد وقفت فرنسا وأمريكا بجانب إنجلترا ، وهنا تقربت روسيا من مصر وطالبت أن تعقد اتفاقا تجاريا واسع النطاق معها على أن تكون لها الأولوية فى شراء قطن مصر وعلى أن تعامل معاملة الدول الأكثر رعاية فى مقابل أن تصدر إلى مصر ما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر وأخشاب وورق وقمح وبترول إلخ

وقد ذعرت أمريكا ، فإن الاستعمار الأمريكى استعمار اقتصادى وتهم أمريكا بفتح أسواق لتجارتها، ولعلنا جميعا نعلم مدى اهتمام أمريكا بمنطقة الشرق الأوسط إن ذلك يرجع إلى عاملين: أولا هذه المنطقة أغنى مناطق العالم بالبترول ـ ثانيا . هذه المناطق يمكن أن تصبح أسواقا هامة للتجارة الأمريكية

ولما كانت عداوة أمريكا وإنجلترا لمصر ستؤدى إلى انتشار التجارة الروسية فى مصر والشرق الأوسط . فقد اضطرت أمريكا إلى أن تحاول القضاء على الفكرة، وعرضت على مصر وساطتها فى حل الخلاف القائم بينها وبين إنجلترا فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ . ولسنا ندرى كيف ينتهى أمر هذه الوساطة

الحماية والمعاهدة :

فى سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا الحماية على مصر ولم تكن مصر قد طلبت هذه الحماية ، ولقد كانت الحماية باطلة من وقت إعلانها ، ومنعا لثورة مصر فى وقت كانت بريطانيا فى حالة حرجة ـ إذ كانت الحرب قد قامت بينها وبين ألمانيا ـ أعلنت بريطانيا أن الحماية ضرورة حربية تنتهى بانتهاء الحرب . فلما انتهت الحرب وانتصرت طلب المصريون إنهاء الحماية وإعلان استقلال مصر ، ولكن بريطانيا رفضت فثارت مصر تطلب استقلالها وحريتها ولم ترهب قوة إنجلترا التى خرجت ظافرة من الحروب العالمية الأولى ، وانطلقت بريطانيا تعتدى على المصريين فأسالت دماء الأبرياء ونفت الزعماء ، ولكن لم تضعف مصر بل صمدت وانتصرت فى النهاية وستحقق جميع أمانيها إن شاء الله

كانت الحماية إذن سبب ثورة ١٩١٩ الرئيسى ، ويحاول المؤرخون أن يكثروا من أسباب الثورات . صحيح كانت هناك عدة أسباب أخرى أهمها المظالم التى طاناها الشعب من السلطة العسكرية ومن الأحكام العرفية، فمن استيلاء على الأقوات ، ومن دفع المصريين قسرا إلى ميادين القتال باسم التطوع وتجنيد أكثر من مليون عامل وموت كثيرين منهم بعيدا عن الوطن، وإصابة الآخرين بأمراض وعاهات إلى حجر على الحريات ورقابة على الصحف وحل الجمعية التشريعية ونفى الوطنيين الأحرار واعتقال المخلصين والزج بهم فى السجون والمعتقلات، الخ

ويضاف إلى هذا الوعى القومى الذى أوضح للمصريين حقيقة نوايا بريطانيا، وذلك يرجع من غير شك إلى جهود الوطنى الأول مصطفى كامل باشا وخليفته محمد فريد بك ، وكذلك ما ارتكبته إنجلترا من فظائع فى وادى النيل كان أشهرها من غير شك حادثة دنشواى ١٩٠٦

وهنا أحب أن أذكر أن إنجلترا حين احتلت مصر قد لجأت إلى الحيلة والخداع : خدعت مصر إذ أعلنت منذ احتلالها مصر ١٨٨٢ عزمها على الجلاء وأنها لن تقيم بمصر ، وخدعت العرب جميعا حين ألبتهم على تركيا فى أثناء الحرب الكبرى الأولى إذ وعدتهم بتحقيق استقلالهم إذا عاونوها، فثار العرب ضد الأتراك حلفاء الألمان، وكان لمصر وللعرب فضل كبير فى كسب إنجلترا للحرب الأولى وكذلك انتصرت فى الحرب العالمية الثانية بفضل مؤازرة مصر لها ؛ ومع هذا لم تلق مصر والبلاد العربية إلا شر الجزاء من الإنجليز ، فهم الذين مكنوا للصهيونيين من احتلال فلسطين وتشريد العرب وهم أصحاب البلاد الأصليين منذ آلاف السنين ؛ وها هى ذى بريطانيا تسفك دماء المصريين ظلما وعدوانا وترفض الجلاء عن مصر وتقف عقبة أمام وحدة الوادى ، وهى بهذا لا تبغى خيرا لنفسها ولا لمصر ولا للسودان ألا ساء ما تفعل !! ولو أن بريطانيا أعلنت حقيقة نياتها منذ الاحتلال وعزمها على البقاء والإقامة فى وادى النيل لقيت عنتا شديدا وإرهاقا فظيعا

وقد عبر عن هذا المعنى معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا

فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمر الميثاق الوطنى الذى عقد بالقاهرة فى ٢٤/ ١٠/ ١٩٥١ أجل تعبير حيث قال : « إننا خدعنا طويلا ، وجاء علينا الدور لنخدع من خدعنا ، ونخضم من أخضمنا ، وأن تكون كلمتنا هى العليا . »

كانت الحماية إذن هى السبب الرئيسى لقيام ثورة ١٩١٩ ، وقد أعلن زعماء مصر أنهم يطلبون استقلال بلادهم منذ الساعة الأولى . أعلنوه حين قابلوا المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وأعلنوه فى النداء الذى وجهوه إلى معتمدى الدول الأجنبية فى ديسمبر ١٩١٨ والذى جاء فيه :

« باسم الوفد المصرى أعلن إلى كل أجنبى فى مصر من ذوى الصالح أن هذا الوفد الذى يسعى بذمة أهل البلاد يقرن بسعيه للاستقلال احترام المصريين لحقوق الأجانب كل الاحترام » وأتبع ذلك ببيان فى ١٠ يناير ٩١٩ جاء فيه :

١ : إن مصر تطلب استقلالها :

ا : لأن الاستقلال حق طبيعي للأمم .

ب : لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال ، بل هى قد سفكت فى سبيله دماء أبنائها

ج : لأن مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الإسمية

د : لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها المادية والأدبية

٢ — تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية

وفى ٧ فبراير ١٩١٩ أعلن سعد زغلول باشا فى خطبة له فى دار جمعية الاقتصاد والتشريع بطلان الحماية قانونا حيث قال :

« إن بلادنا لها استقلال ذاتى ضمنته معاهدة لندن ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى . . إنكم تعلمون أيها السادة وكل علماء القانون الدولى يقررون أن الحماية لا تنتج إلا من عقد بين أمتين ، تطلب إحداهما أن تكون تحت رعاية الأخرى ، وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية ، فهى نتيجة عقد ذى طرفين موجب وقابل ، ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلا

فى ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن تطلبها أو تقبلها الأمة المصرية ، فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هى ضرورة من ضرورات الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة . »

وهكذا كانت الحماية العامل الرئيسى فى قيام ثورة ١٩١٩ وقد نجحت مصر فى إلغائها ١٩٢٢ وإعلان استقلالها ثم انتهى الأمر بقيام معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا . ربما كانت هناك ضرورات أدت إلى توقيع هذه المعاهدة ١٩٣٦ ولكن الواقع أن هذه المعاهدة كانت كارثة على مصر فإنها لم تحقق للنيل وحدته بل أكثر من هذا أنها اعترفت بشرعية الاحتلال . وقد وقفت مصر بجانب بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وانتهى الأمر بانتصار بريطانيا فعملت مصر على مفاوضة بريطانيا لتعديل هذه المعاهدة على أساس تحقيق أهداف مصر وهى الجلاء الناجز عن الوادى وتوحيد مصر والسودان تحت تاج واحد، ولكن ذهبت جهود المفاوضين المصريين عبثا ، واضطرت مصر إلى إلغاء هذه المعاهدة وإلغاء اتفاقيتى السودان ١٨٩٩ ثم وضع نظام دستورى لحكم السودان وقيام دولة اتحادية من مصر والسودان وأصبح جلالة الملك فاروق ملكا لهذه الدولة وأصبح لقبه ملك مصر والسودان

ومما يجدر ذكره أنه كما كانت الحماية باطلة قانونا فإن معاهدة ١٩٣٦ بدورها باطلة قانونا ، وقد سجل ذلك الستر أوبنهايم أستاذ القانون الدولى بجامعة كمبردج فى مؤلفه العالمى عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة فذكر أن معاهدة ١٩٣٦ لا تتفق فى شىء ما مع هذا الميثاق فهى باطلة من أساسها ، إذ تنص المادة ١٠٣ من الميثاق على أنه « : إذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقا لإحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المرتبة على هذا الميثاق »

لوسنا الكلام بقية أبو الفتوح عطيفة